مجلة الرائد

العدد : ٢٢٩ الموافق في ربيع الآخر ١٤٢٢ هجري ٢٠٠١/٧ ميلادي

عنوان المقال : أحداث الجزائر .. نتائج ومقدمات	الكاتب : عبد الله هارون

إن المتتبع للوضع في الجزائر منذ أحداث منطقة القبائل في نيسان/ أبريل ١٩٨٠م ، ومروراً بأحداث تشرين أول/اكتوبر ١٩٨٨م وانتفاضة الشعب الجزائري بقيادة الصحوة الإسلامية التي كانت قاب قوسين أو أدنى من بداية التمكين للإصلاح قبل عشر سنوات ، وأخيراً أحداث منطقة القبائل التي بدأت قبل أسابيع ، إن المتتبع لكل ذلك يتأكد له أن ما يحدث الآن إنما هو نتيجة لمقدمات كان لا بد أن تكون لها آثارها من غير شك ، وسوف ألخص الوضع في نقاط كما يأتي :

١- منذ أن حكم العسكر في الجزائر والنظام يتخبط لأنه يسير وفق الهوى لا الهدى ، وكما يقال في المثل : " إذا خرج من حفرة سقط في منحدر " ، وقد ظهر عفن النظام منذ عقود ، ولكن المسيطرين حرصوا على إفراز حلقات مسلسل آسن دون توقف ، وفي كل حلقة تنتشر الجراح في جسم الأمة المثخن بالتقيحات .. وفي هذه الأيام ظهرت نتيجة الحلقة الأخيرة من المسلسل التي استحكمت باسم " إنقاذ الجمهورية " و " الحفاظ على الديمقراطية " .

٢- لقد شهدت منطقة القبائل بالذات منذ مدة طويلة التضييق على المساجد ، والسماح لدعاة الأمازيغية بالتحرك ، ونمت نعرة العودة للهوية الثقافية الأمازيغية ورفع المظالم عن القبائل .

ولقد انتهز القائمون على هذه الدعوة فرصة وفاة شاب من بلدية بني دوالة في ولاية " تيزي وزو " ، في مقر الدرك الوطني وذلك يوم ٢٠٠١/٤/١٨م ، فدفعوا العامة إلى المظاهرات والاحتجاجات فسقط عشرات القتلى ومئات الجرحى ، ثم انتقلت الاحتجاجات من " تيزي وزو " إلى مناطق أخرى من مناطق القبائل ، ثم وصلت المسيرات إلى العاصمة حيث دعت إليها جبهة القوى الاشتراكية (FFS) والتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية (RCD) والمحاولات مستمرة لتوسيع دائرة هذه الاحتجاجات .

نعم ، إن الشرارة التي أشعلت هذه المظاهرات والاحتجاجات كانت هي مقتل ذلك الشاب من قبل قوى الدرك - التي اعتادت التعدي على أرواح الأبرياء - غير أن التفاعل مع الحدث والتصعيد يدل على أن الكيل قد طفح والكأس قد فاض !!

٣- لقد فوجئ النظام الحاكم في الجزائر باندلاع الأحداث واتساع نطاقها ، مع فداحة حجم الخسائر ونتائج الاضطرابات في الأرواح والمنشآت ، والغريب أن المواقف مضطربة ، سواء كانت مواقف السلطة والأحزاب الموالية لها ، أو الأحزاب المعارضة ، حتى بعض الرموز التي كانت تسيطر على مقاليد البلاد فترة من الزمن

مثل وزير الدفاع السابق خالد نزار ، عبرت عن مواقف من الأحداث غير تلك التي كانت لها في السابق عندما كانت في موضع المسؤولية ، وخاصة عند وقوع أحداث مشابهة .

والملفت للنظر أن الموقف الفرنسي لم يلتزم تأييد النظام الحاكم ولا حتى الصمت ، فقد صرح رئيس الدبلوماسية الفرنسية هوبير فيدرين بأن الحكومة الفرنسية لا يمكنها أن تسكت عن العنف الذي استخدمته السلطات الجزائرية في قمع احتجاجات الأمازيغ في منطقة القبائل ، وهذا العنف لا يقارن بذلك الذي استخدمته السلطة من قبل في قمع الإسلاميين ، وقد كان موقف الحكومة الفرنسية مؤيداً ومحبذاً آنذاك !!

٤- لقد تفاقم الوضع الاجتماعي والاقتصادي في الجزائر حتى أصبح يهدد بخطر شديد ، فقد بلغ الفقر والبؤس بالشعب الجزائري حدّاً لا يمكن احتماله ، والتفاوت في مستوى المعيشة بين الفقراء وفئة المستغلين المنتفعين بخيرات الجزائر قد أصبح فظيعاً ، فهو يصل إلى أكثر من ثلاثين ضعفاً بين أجور العاملين في قطاعات الدولة .

وإذا علمنا أن البطالة تجاوزت ٢٩% ، وأن أسعار المواد الأولية تضاعفت أكثر من خمس مرات خلال السنوات الثلاث الأخيرة ، بينما لم تعرف الأجور تزايداً مناسباً ، مع العلم بأن الكثافة السكانية للشعب الجزائري مرتفعة ، فعدد أفراد الأسرة الفقيرة يصل إلى خمسة أفراد في المتوسط ، ولا يتوفر لمثل هذه الأسرة إلا مسكن مكون من غرفتين فقط ، في الوقت الذي تشير فيه الإحصاءات إلى أن (٤٠٠ ألف) مسكن بدون مرافق صحية .. لتبين لنا أن هناك مقدمات توفر أسباب الانحراف الاجتماعي ، وتزايد جنوح الشباب ، وارتفاع معدلات الجريمة ، فضلاً عن انتشار الأوبئة والأمراض .

خلاصة ونتائج

١- هذا الواقع المشاهد الآن في الجزائر لم يكن مفاجئاً وإنما كان متوقعاً ، فهو نتائج لمقدمات وجدت من عشرات السنين ، والشعب الجزائري المقهور إذا عبر عن غضبه بثورة شعبية ، إنما ذلك ثمرة للواقع العفن والبئيس للحكم العسكري المسيطر بقوة العسكر والسلاح في الجزائر ، ففي مثل هذه البيئة تتحكم الفئات المنتفعة ، كما هو الحال في الجزائر ؛ فقد تحكمت فئة كبار ضباط الجيش والشرطة ، وسحقوا الشعب الضعيف وحرموه من حق الحياة الكريمة .

٢- منذ فترة قصيرة ظهرت بوادر الصراع بين القوى المتنفذة ، وخاصة كبار رجال الجيش ، وقد صدر عن بعضهم تصريحات لوسائل الإعلام الفرنسية ، وظهر من هذه التصريحات تضارب المصالح ، وفي ذات الوقت إيذان باستدعاء فرنسا للتدخل بحجة الإصلاح والمحافظة على المصالح !!

٣- لا بد أن تدرك السلطة المسيطرة في الجزائر - بل وفي غيرها من البلاد - أن دوام الظلم محال ، ولا بد من انتصار الحق وعودة الأمور إلى نصابها فالأكرم والأفضل للنظام في الجزائر - ومن يسير على نهجها - أن يسارع إلى عقد مصالحة مع الشعب ، وأن يرد الحق المغصوب للشعب ليقرر في اتخاذ نظام الحكم المنبثق عن عقيدته ودينه ، حتى يعود الأمن والأمان لهذا الشعب الذي يعاني منذ عشرات السنين ، وليعلم كل من أراد تغييب الحق أنه لا بد له من الظهور في يوم من الأيام ، مصداق قول الحق ﷻ : { **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ** } [الأنبياء : ١٨] .